الإعجاز الصرفي بين التوهم والادعاء

اسم الكتاب: الإعجاز الصرفي بين التوهم والادعاء
اسم المؤلف: الدكتور لبيب سعد دردسليمان
اسم الناشر: جيكور للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت - لبنان
التنسيق الداخلي: مكتب الجنوب www.jawadonline.net
تصميم الغلاف: جواد الخفر

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٣٤٠٢ لسنة ٢٠١٧

محفوظة جميع الحقوق للمؤلف

جميع الحقوق محفوظة باستثناء اقتباس فقرات قصيرة لغرض النقد أو المراجعة، فإنه لا يجوز إعادة إنتاج أي جزء من هذا الكتاب أو تخزينه في نظام الاسترجاع أو نقله بأي طريقة من دون الحصول على إذن مسبق من الناشر.

All rights reserved.Except for the quotation of short passages for purposes of criticism or review, no part of this publication may be reproduced, stored in retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, without written permission of the publisher.

الطبعة الأولى
2018

جيكور للطباعة والنشر والتوزيع
لبنان - بيروت
E-mail: jeekor4@gmail.com - Mob.: 009613458369 -009647819708245

Jeekor
For Printing & publishing Ltd.
Beirut- Lebanon
Mob.: 009613458369 -009647819708245
Email: jeekor4@gmail.com
munafhameed4@gmail.com
www.jekoor.com

D R .L A Y T H D A W O O D S A L M A N

لغة

الإعجاز الصرفي
بين التوهم والادعاء

الدكتور ليث داود سلمان

جيكو Jeeko

إلى:

منهجي

ومأنسي

أم محمد

مُقدّمة

الحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي دَرأ الظّلمة بسلطان التَّعقل وكشف الدُهمة بميزان التَّفكر، وصرف الغُبسة بنشدان التَّدبر.

والصَّلاة والسَّلام عَلى صراط الدِّين وباب العلم المبين، نبينا الأكرم سيد الخلق أجمعين. وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحبه الغُرّ المنتجبين.

وبعد

فُطرت المخلوقات على حبّ ذواتها، وتطلّعت إلى إتمام غاياتها، واستكمال مراداتها فهي تسعى حثيثاً لاستسقاء وابل الرحمة واستمطار غيث الهداية من أجل رسم مناهجها وتحديد مساراتها.

وَقَد كان الإنسان في طليعة تلك الموجودات الَّذِي تتحرك لديه البواعث، وتدفعه الأغراض والمقاصد لبلوغ مستحقات ذاته، وإقتناء مستلزمات كمالاته، وهو أمر تدفعه إليه الفطرة التكوينية والجبلّة الخلقية.

ومِمّا يقصده الإنسان في تطلعاته إلى المعالي التي يرومها شؤونه الاجتماعية ومرفقاته العقدية ورؤاه المعرفية، ففي سنن الحياة يدخل الإنسان معترك التواصل، وهو مشبع بهالة من القيم، ومفعم من العادات والتقاليد، فلا تنفصم العقيدة من سنخ جوهره، ولا تنفصل عن كنه محتده، وفي ضوئها تتقوم شخصيته، وعلى أسّها تعنّ المقامات وترنو المنزلات.

وفي عالمنا الإسلامي تجسدت العقيدة الدينية بصورها المتعددة ومظاهرها المختلفة ـ التي يحكمها عرش التوحيد، وتجمعها مقاليد النبوة ـ لتكون من أولى الحيثيات المؤسسة لذاته، والباعثة إلى عشق نفسه. ولذلك هو يحبّ الخطا؛ لإظهار ما فيها رفعتها وتمام منزلتها.

وأخذت مفردات العقيدة بتكاثرها وتكاثفها تعيد إنتاج المشروع الإنساني، فتعمل على بناء ذاته، وتأليف تصوراته في محاولة منها لإيجاد النموذج الكامل بعد ان أطبقت عليه سماء الجهل، وهيمنت بوادر التخلف ردحاً من الزمن.

وفي ظل هذا المناخ المعرفي الَّذِي تسمو به العقيدة، وتتدفق لديه المطالب العلمية، أشبعت الذات من تطلعاتها، وبدأت بوادر التصنيف تشمر عن سواعدها، وأخذت لغة التأليف تجود بقرائحها، ونالت الإلهيات في العقيدة والكلام – لضرورتها الوجودية وحاجة الإنسان إليها – كثيراً من البحث والتنقير، وحازت العلوم القرآنية قصب السبق فيها؛ لأنّها متفرعة على الوجدانيات والمدركات العقلية. ومن بين كثرة المقاربات تعددت القراءات في تفسير القرآن وبيان إعجازه. ولا يخفى أنّ مفهوم الإعجاز مقدم على التفسير من جهتين:

الأولى: إنّ مشروعية القرآن تثبت من طريق البرهان بلغة الإعجاز ولسان التحدي.
والثانية: إنّ تفسير القرآن وبيان مقاصده يخضع للإطار الداخلي في المنظومة الدينية.

أمّا الإعجاز فهو يعمل على ترسيخ الإطار الداخلي وتقرير مطالبه، ويشتغل على مديات خارجية أوسع تؤدي آلية حجاجية وفاعلية إقناعية في عملية التداول والتواصل؛ لكي تكون الحركة الفكرية في امتدادٍ متوازٍ مع توسع بيضة الإسلام بل إنّ سبيل الإعجاز إلى الإقناع أبلغ من غيره؛ لأنّه يبسط الدليل الجلي على موائد التفكير، ويعرض البرهان على الأذهان..

ولاقترانه بأسس العقيدة ومبادئ النبوة تسارعت إليه الهمم، وتسابقت إليه فارعات القمم، فتعاطوه عقيدة محكمة؛ لتقرير مطالب النبوة وتأكيد مجاري التنزيل،

لكونه لسان القرآن المتحدث عن جوهره اللطيف، ومنبته الرصيف، وبوابة فهمه الهادية إلى مراتبه العالية. وقد نمت هذه المفردة في ظل أحضان البحث الكلامي الَّذِي يبتغي معاينة مسائل التوحيد بمبصرات حجاجية ولغة إقناعيه في تقرير الحقيقة. ولما كانت النبوة شأناً ربوبياً في التدبير والتقرير، ظهرت الحاجة إلى منطق الاستدلال وصناعة البرهان، حتى يكون التلقي ناجعاً في استنزال المطالب إلى الأذهان.

ومما كشفته المراحل السابقة أنّ طريق الإيقان يكون بفلسفات تداولية، تناسب الأفق المعرفي الَّذِي يرزح تحته الأشخاص، وبمبتنيات حجاجية تسانخ الثقافة الرائجة التي تؤلف منظومتهم الفكرية؛ ليكون صراط الحجة ناظراً إلى تلك الصناعة المألوفة، وقاصداً في الغلبة إلى تقويض ذلك المبنى الثقافي والتسامي عليه. فكان باب التَّحدي ونهج المعارضة أداة فاعلة في الاستجابة والقبول.

لقد حظي مفهوم الإعجاز – في مؤداه – بمزيد من العناية، وشديد من الاهتمام، حتى غدا التعاطي له من أولويات البحث والتنقير في كل عصر ومصر؛ إذ إنّه مقترن بالكتاب الإلهي الخالد، الَّذِي لا تنضب معانيه، ولا تنفد مراميه، وهو فرع حياة القرآن وسر ديمومته، ومن تمثلات بعده الغيبي في عالم التكوين، قد تجلى بفلسفة محكمة تعاين الواقع وتشخص العين، وتناسب مستويات الإدراك المتفاوتة؛ لذلك لم تتجافَ عنه العقول، ولم تتنكر له البصائر.

إنّ هذه الاستراتيجية الغيبية المؤثرة في ذوي اللبّ والنهى مكنت الأجواء لتأسيس المفهوم ببعده المعرفي القار في الثقافة الإسلامية؛ كونه أداة طولى في بسط وجوده الفلسفي إلى ثقافات الشعوب الأخرى. ولكن بعد طول مسير، وأزمان من النظر والتدقيق أضرت به عوادي الدهر، وحرّفته غواشي البشر، فخرج عن مجاله، وأُبعد عن مقامه.

إنّ الجُرح المتقدم يمثل سؤال المعرفة الَّذِي يروم هذا العمل إطلاقه، والإفصاح

عن مكنوناته. وبمعنىٰ: إلىٰ أيّ مدىٰ يمكن لمفهوم الإعجاز أنْ يوسع حدوده ويكثر نجوده ؟

أهو منفتح علىٰ شعب المعرفة ومدركات الفكر – يقترن بمفاهيمها ويتوغل إلىٰ ميادينها – أم هو مأسور إلىٰ منزعه ومأنوس بمنبته ؟

أقول:

لقد تحركت البواعث القدسية لدىٰ ثلّة من الباحثين والدارسين – نشداناً لذلك الكمال المطلوب، وبحثاً عن متممات الجوهر المفقود الَّذِي تقصده الذات في وجودها – وتعمقت الدوافع الكمالية؛ لاستدعاء مفهوم الإعجاز من منطقة اشتغالاته ومجاري معالجاته إلىٰ محل يسمح له أن يؤدي دور الوظيفة الاقناعية في كل ميادين المعرفة، فتتكاثر أغصانه وتتكاثف أفنانه، فيتحصّل لدينا إعجاز فلكي في قبال ما يطرحه العلم الحديث من تنويرات في علم الفلك، وإعجاز طبي يضاهي الاكتشافات التي يضعها العلم المعاصر بين أيدينا، وإعجاز عددي، وإعجاز كيميائي وإعجاز فيزيائي وهلم جرّا.. وأكثر من ذلك، فقد جُرّ هذا المفهوم إلىٰ حقول موضوعية، لا يصنع معها مركباً معرفياً، يقبله العقل، ويرتضيه الذوق؛ إذ ثمة فسحة كبيرة بينها، تمنع ائتلاف المعنىٰ، وتحظر تلاقي المغزىٰ، كالإعجاز التاريخي والإعجاز الخطي، والإعجاز النحوي والإعجاز الصرفي وغيرها.

إنّ تلك المحاولات سعت جاهدة بحثاً عن الكمال في مقارباتها، ولكنها أخطأته وفوّتته، لأنّها فرضيات وادعاءات لا تلامس جوهر الحقيقة، ولا تقترب من لوح الواقع، اتخذت من الزعم سبيلاً إلىٰ المجازفة، ومن الارتياب سبباً إلىٰ المغامرة، فرامت استنطاق المفاهيم بمرجعيات ذاتية فردية مشبعة بموروثات أحادية تلائم أذواق مسلك معهود في الثقافة، ولا سيّما من حُظرت أفكارهم علىٰ التقليد والتقديس.

وبأثر من تلك الصيحات الفارعة، ومن ذلك التهلهل في نسيج العلم، والتهرئ

الناقع في نظام المعرفة، توقدت فكرة المشروع، وتثورت البواعث لديّ.. فكان العمل يعاين تلك الاتجاهات بعين الفحص والتنقيب، ويواكب مسارهم في جنبات النقد والتدقيق؛ كونها إسهامات أنجزت لتخطي عتبات الفكر، وتبلورت لتجاوز تخوم المنهج العلمي.

وقد وقع الاختيار مني على واحد من تلك الاتجاهات، وهو الإعجاز في جهة الصرف، فمهدت له بمدخل نظري لحركة المفاهيم – وأعني مفهومي الإعجاز والصرف – في منطقة اشتغال أهل اللغة وأصحاب المعجمات؛ لأنّه يمثل الإطار البنيوي في صناعة المصطلحات وتحديد وجهتها المعرفية، وأتبعته بقراءة فكرية لمساراتها عبر تعقب المفهومين لدى أرباب كلّ فنّ، وقوفاً على المراحل التي مرّ بها المفهوم قبل أنْ يستقر به الحال مصطلحاً، وقبل أنْ يلملم مسائله؛ ليكون علماً مستقلاً، فيكون القارئ على وعي بالمفاهيم، وتفقه بحدودها، من المنابع الأساسية التي تشكل فيها إلى أن غدا فناً، له حدود وتخوم..

وهنا يكون القارئ قد استقرت به نوى التحديد، واستقلت له جهات التشخيص، وتجلت له المفاهيم بإطلالة السفور والوضوح. ورافق هذا النظر بعض القراءات النقدية والوقفات التحليلية التي تناقش الحدود وتحاور الرسوم – في ضوء المضمار الَّذِي تتحرك فيه – وتتعقب الآراء، سواء أكانت للعلماء أم للباحثين، التي لحقها الأفن وأدركها الوهن، قاصداً إلى ذلك قصداً، ولا سيما في مفهوم الصرف – الَّذِي أُتخذ جهة في الإعجاز – لكي أبصر القارئ أنّ هذا المفهوم لم يثبت علماً، له موضوعه ومسائله إلاّ متأخراً، وهو ميدان فسيح للأخذ والردّ، وفيه مساحة كبيرة من الخلافات والاعتراضات ما يجعل حلبة النقد فيه مديدة. ووقفت على التجليات اللفظية للمفهوم بصورتيه: الصرف والتصريف، وأثر ذلك في عملية التأسيس. وهذا بدوره يقود إلى مسألة جوهرية قد ابتنى عليها البحث، هي: إنّ هذا الفن لا يمكن أنْ يجود بقيم كمالية ولا بخصال جمالية، تؤهله أن يكون محلاً لتحرير مفهوم

الإعجاز!!

وقد كان هذا المدخل المعرفي فصلاً مميزاً للتعرّف على ماهية المفاهيم المطروحة في الثقافة الإسلامية، الَّذِي كان الإعجاز من أبرز مفرداتها.

ثم تخلص المشروع إلى المحور الثاني، وهو محور مهم، أراد به الباحث أن يُعرّف القارئ على أضرب الإعجاز في منظومتنا الحجاجية، فعمدت إلى تتبع الأقوال، والآراء، لا على نحو الإحصاء الدقيق والاستقراء الفتيق، لكي أجلو المديات المسموح بها التي حُددت من لدن العلماء، وما يمكن أن يقبل الإطراء منها، وما يلحقه النقد والتجريح فيها. فكانت الغلبة من بين تلك الأضرب للنظم مع اختلاف يسير فيما يقترن به، أو ما هو من شؤونه. وهو تفسير، لا يرتضي كاتب هذه الأسطر سواه؛ لأنّه يتناغم مع الفن الَّذِي كان رائجاً عند العرب في زمن التحدي والمعارضة، وفي ضوئه اعترف أهل الفصاحة وذوو البلاغة بالسبق والفضيلة له...

ومن جهة أخرى أنّ كل الأوجه التي ذكرها العلماء إلى جنب هذا الضرب لا تعدو أن تكونَ أمارات كاشفة من تدفقات ذلك النظم العجيب الَّذِي يدجّ في النص القرآني كله.. وقد فرّعت على ذلك أمراً مهماً، وهو التعرض – بلا إطالة – للاتجاهات النائية والقراءات الواهية التي أتى أصحابها على شرعنتها ونمذجتها، وهي مساعٍ تزيد المثالب، ولا تضفي المناقب، وتقرب المستهجن ولا تدني المستحسن، قد ألحقتها بأضرب الإعجاز؛ لتكون مرآة كاشفة عن الثابت والمتغير في ذلك المفهوم، فيُشخص في ضوئها المنزلقات التي ابتليت بها الثقافة الإسلامية بعد أعوام من الازدهار والانتعاش، وهنا يكون المتلقي قد وقف فعلياً على معطيات الفكر الإسلامي في صناعة مفهوم الإعجاز وتشخيص أضربه. وهذه الأسفار المستحضرة والمادة المستعرضة ـ على ثقلها وكثافتها في المحور المتقدم ـ أراها تزيد من فاعلية الإقناع وتدعيم الحجة في تحديد الأطر المعرفية والمنتجات الثقافية لذلك المفهوم في تلك العصور. ولضيق المقام عن الإتيان على جميعها تفصيلاً، وتعاطيها

تدقيقاً، حددت المحور الثالث بالإعجاز الصرفي، ليأخذ التبيين بغيته، والتفصيل بنيته، فعرضت الفكرة الرئيسة، وأشهر من تبناها واعتنقها، مصوباً سهام النقد إليه بوغر الصدور ووجم النفوس، وقد أرسلت النظر في الجزئيات وعمدت الخوض في الدقّيّات من أجل القراءة النقدية الفاعلة في تتبع بصمات الشحن غير الإيجابية.

ولم يكن الإجراء الَّذِي نشته، ولا النقد الَّذِي نقشته يقاصص الأشخاص بتحامل عاطفي أو تأثير وجداني، يدفعه الحسد العلمي، ويحدوه النبض الباطني. وكذا لم ابتغِ هوس العقيدة أو وكس الفضيلة. ولكن قادني القبيل وساقني الدليل لبعثرة نسيج الادعاء – الَّذِي تعهّده نفر من المؤلفين والباحثين – وزحزحة وشائجه، وثني عزائمه، حتى تكون العقيدة بمأمن من مقاربات المتطفلين، ويكون القرآن في عصمة من لوث المغالين ومناوشات المتعصبين الذين لا يتعاطون إلا قشور المعرفة وزبد التفكير؛ لذا جاءت قراءاتهم سقيمة مضحكة، سفيهة مترحة، تزيد أعداء الدين والملّة سخرية واستخفافاً، وتمدّهم بالقوة والمنعة، ولا سيّما ونحن نعيش عصر ازدهار العلوم التجريبية والمعارف التي يقوم عودها على الحسّ والمشاهدة، وتتنكر لما هو كائن فيما وراء المادة، فتجعله ضرباً من اليوتوبيا..

وفي الختام أسأل الله أنْ يعصمنا من الزلل، ويجنبنا الخطل، ويصرف عنا مدلهمات الخبل.

إنّه سميع مجيب

ليث داود سلمان

المحتويات

مقدمة ٥

المحور الأول

الأعجاز والتصريف مدخل لغوي وقراءة معرفية ١٥ - ١٢٠

المفهوم اللغوي للإعجاز ١٨
التأسيس المفهومي والتحديد الاصطلاحي ٣١
المفهوم اللغوي للصرف و التصريف ٤٣
التأسيس المفهومي والتحديد الاصطلاحي ٤٨
موضوع التصريف ٩٨
مسائل التصريف والصرف ١٠٣
صور التركيب ومسائل التصريف ١١٤

المحور الثاني

أضرب الإعجاز في مقاربات النقد ١٢١ - ٣٢٤

القدماء وأضرب الإعجاز ١٢٤
المحدثون وأضرب الإعجاز ١٩٩
اتجاهات فيها نظر: ٢٥٧
١. الاتجاه العلمي في الإعجاز ٢٥٧
٢. الاتجاه القصصي في الإعجاز ٢٦٨
٣. الاتجاه الصوتي في الإعجاز ٢٨٠
٤. الاتجاه العددي أو الرقمي في الإعجاز ٢٨٧
٥. الاتجاه النحوي في الإعجاز ٣٠٠
٦. اتجاه الرسم القرآني في الإعجاز ٣١١
٧. اتجاه القراءات القرآنية في الإعجاز ٣١٨

3 المحور الثالث

الاتجاه الصرفي في الإعجاز ٣٢٥ – ٤٣٨

متعلق الإعجاز بين الإفراد والتركيب ٣٢٨
مدونات الاتجاه الصرفي ٣٤١
١. من الإعجاز الصرفي ٣٤٢
٢. الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ٣٤٧
العتبة النصية (عنوان الكتاب) ٣٥٢
الفصل الأوّل طبيعة الدلالة في صيغة الكلمة ٣٦٢
الفصل الثاني أسس التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة ٣٦٣
الفصل الثالث نماذج تحليلية ٣٩٤
الخاتمة ٤٠٣
أعمال مقاربة ٤١٣
١. الإعجاز البياني في صيغ الألفاظ. ٤١٣
٢. إعجاز القرآن والدلالات الصرفية. ٤٢٢
٣. نظرات في إعجاز لغة القرآن. ٤٢٩

المصادر والمراجع ٤٣٩